22 دوروثي باركر

«أنا فى أعمالى أعلن الحرب المستمرة على أخطاء الإنسان التى لا تختلف باختلاف الزمان أو المكان.. أنا أقف بالمرصاد لكل انحرافات الفكر الإنسانى»

الأديبة الأمريكية مُتعددة المواهب، التى قرضت الشعر، وألَّفت القصص القصيرة، وكتبت المسرحية، وقدَّمت مؤلفات فى النقد الأدبى والفنى .

وهى التى حاربت بقلمها اللاذع ونقدها الساخر الغباء، وضيق الأفق، والقسوة فى كل مظاهرها .

إن شعرها يمتزج بالحكمة والتهكُّم فى وقارٍ لا يُقلل من قَدْره وروعته.

الميلاد.. وبداية الحياة العملية :

ولدت «دوروثى باركر» فى عام 1893م فى نيو جيرسى بنيويورك .. بدأت حياتها العملية بكتابة شعر المناسبات . كما عملت عازفة للبيانو فى مدرسةٍ لتعلم الرقص، ومحررة فى إحدى مجلات الأزياء حيث كانت تكتب العناوين الجذابة، والتعليقات على الصور واللقطات .

«دوروثى باركر» .. ورحلتها النقدية فى الصحافة :

بدأت «دوروثى باركر» مستقبلها الأدبى الحقيقى فى عام 1917م عندما عملت

ناقدة مسرحية لمجلة «فانيتى فير» فى أثناء عملها هذا اشتهرت بهجومها النقدى لدرجة العنف فى أحيانٍ كثيرةٍ ممَّا أدى بها إلى خلق عداوات عديدة، فالناس لا يملكون جميعهم النظرة الموضوعية الشاملة التى تتقبَّل النقد بصدرٍ رحب، ولكن «دوروثى» لم تضع هذا فى اعتبارها ؛ لأنَّها نظرت إلى المجتمع بمنظارها هى وليس من خلال منظار الآخرين . وبسبب هذا الهجوم الكاسح على العروض المسرحية الهابطة التى تعرَّضت لها بالنقد والتحليل استغنت المجلة عن خدماتها فى عام 1920م، حيث وجد أصحاب مجلة «فانيتى فير» أن القائمين على الحركة المسرحية قد اتخذوا موقفاً عدائياً من المجلة ممَّا يُؤثِّر بالسلب على انتشارها، فلم يكن هناك مفر من التخلُّص من «دوروثى باركر» .

انتقلت بعد ذلك إلى مجلة «النيو يوركر» حيث أشرفت فيها على شؤون المسرح وعروض الكتب الجديدة . لم تتخل «دوروثى» عن نزعتها الهجومية، ولم تحاول الالتقاء فى منتصف الطريق مع الذين داستهم بقلمها الثقيل . وكأنَّها أعلنت للجميع أنَّها لا تخاف أن تعلن الحق فى صرامة منقطعة النظير .

وبمرور الوقت اكتسبت شعبية هائلة بين جماهير القُرَّاء الذين أحسوا أخيراً أنَّها تُعبِّر عمَّا يجيش بصدورهم تجاه الأعمال الأدبية التافهة أو السطحية سواء كانت معروضة على خشبة المسرح، أو منشورة فى كتاب . فقد حملت فى كل كلمة كتبتها قضية فكرية تُدافع عنها ببسالة قد لا تتسنى لرجال عصرها ؛ ولذلك أقبل الجميع على التهام مقالاتها النقدية ؛ ممَّا أدى إلى شعبية قصائدها وقصصها القصيرة . كان ذكاؤها اللَّماح كفيلاً بأن يغفر لها الجميع هجماتها العنيفة التى لا تعرف الاعتدال .

إبداع «دوروثى باركر» الأدبى :

ديوان : حبل طويل بما فيه الكفاية :

صدر هذا الديوان عام 1926م، وعندما نلقى نظرة نقدية لهذا الديوان سنكتشف مهارة «دوروثى باركر» الفنية فى استخدام أدوات الشعر من وزن وقافية وصور . وهى

عالجت من المضامين المثيرة المُعاصرة ما جعل القُرَّاء من غير متذوقى الشعر يقبلون عليها وعلى دواوينها .

ولقد وصف الناقد «إدموند ويلسون» هذا الديوان وغيره من الدواوين بقوله : «إن «دوروثى باركر» حققت انتصاراً أدبياً لم يسبق له مثيل فى مجال الشعر الذى يمزج الحكمة بالتهكُّم فى وقارٍ لا يقلل من قَدْره ورونقه» .

صدرت عشرات الطبعات من الديوان، وهذا شىء غير عادى أو غير مألوف بالنسبة للشعر بصفةٍ خاصة .

وفى عام 1928م أصدرت ديوانها الثانى «مدفع الغروب»، وديوان «الموت والضرائب» فى عام 1931م . ثم جمعت أعمالها الشعرية كلَّها عام 1936 م فى ديوان بعنوان «ليس عميقاً كالبئر» .

أسلوبها الشعرى :

كانت النغمة المفضلة التى عرفتها «دوروثى باركر» فى شعرها تتمثَّل فى الحبيب الذى رحل، أو الذى على وشك الرحيل، كذلك فى الأنثى المتقلبة التى تشبه عناصر الطبيعة الهوجاء كالعواصف والزلازل والبراكين، وفى الأنماط المختلفة لراغبى الزواج، وفى ذكريات الحبّ التى تخلق عالماً مستقلاً بها . ومن خلال هذه النغمات التى تبدو خفيفة سريعة تصل إلى تنويعات أكثر ثقلاً وُعمقاً.

من السهل تلمُّس روح السخرية والتهكُّم فى مُجمل قصائدها، ولكن الأفق الفكرى الذى بلغته كان محدوداً إلى حدٍ ما، ؛ كان حرصها الشديد على الوزن والقافية قد أصاب بعض أشعارها ببعض الجفاف والتصنُّع ؛ لأنَّ وعيها بالصنعة الشعرية كان حاداً أكثر من اللازم فى بعض الأحيان، ولكن فى أحيانٍ أُخرى كانت تنسى هذه القيود المتعسفة التى فرضتها على شعرها، وتكتب قصيدة عذبة تتخذ من عيد الميلاد مضموناً لها كما نجد فى قصيدة «صلاة إلى أمٍّ جديدة» .

كما أنَّه من السهل علينا أن نتتبع أثر شعراء آخرين عليها مثل : «أ.أ. هاوسمان»

و «إيدناسان فنسنت ميللاى» التى أثرت فى صور المرأة الجديدة التى تُطالب بحقها وتعارض كل ما يمس كرامتها وإنسانيتها، وهى الصور التى وردت أكثر من مرَّة فى قصائدها .

سمات إبداعها القصصى :

للكاتبة والأديبة «دوروثى باركر» مجموعات قصصية مثل : «رثاء للأحياء» عام 1930م و «ما بعد الملذَّات» عام 1933م، ثم طبعت القصص كاملة بعنوان «هذه الأكاذيب» عام 1939 م.

وقصصها القصيرة كانت زاخرة بالإدراك الواعى للطبيعة البشرية بكل تناقضاتها، ونقاط ضعفها . وخالية من أية أوهام أو هالات رومانسية .

ولقد أصبحت بعض قصصها من كلاسيكيات الأدب الأمريكى مثل : «الشقراء الضخمة»، و «السيدة ذات المصباح»، و «المجد الساطع»، و «مكالمة تليفونية» التى طغت فيها النظرة الفلسفية المُحدِّدة على أى ميل نحو العاطفة المسرفة . تمثلت هذه النظرة فى كراهيتها المطلقة لكل مظاهر «الغباء والقسوة والضعف».

وقصصها عبارة عن بلورة مكثفة لروح هذه الكراهية التى «وقفت بالمرصاد لكل انحرافات الفكر الإنسانى»، من هنا كانت الحيوية المُتجدِّدة التى تتمتَّع بها أعمال «دوروثى باركر» القصصية التى «تُعلن الحرب المستمرة على أخطاء الإنسان التى لا تختلف باختلاف الزمان أو المكان» . لم تكن حرباً دعائية مباشرة، بل كانت الحرب الفنية الأصيلة التى يشنها كل فنان بالضرورة، مستخدماً فيها كل أدوات الفن من أجل عالم أفضل وغد أجمل .

هذا ولم يقتصر نشاطها الأدبى على الشعر والقصة القصيرة بل اشتركت فى عام 1924 م مع المسرحى الأمريكى الشهير «إلمر رايس» 1967 - 1892 Elmer Riceم فى كتابة مسرحية «نغم مألوف».

فلسفة «دوروثى باركر» :

كانت تعتقد أن السخرية من أمضى الأسلحة التى يملكها الأديب، ويصحح بها كل الانحرافات التى يرتكبها الفكر الإنسانى فى تكالبه على المصالح المادية. وعلى الرغم من أنَّها لم تكن من المؤمنين بأن الإصلاح الاجتماعى التقليدى من وظيفة الفن، إلاَّ أنَّها أكدت علماً وعملاً أن أهم مهمة ملقاة على عاتق الفنان هى محاربة الغباء وضيق الأفق والقسوة فى كل مظاهرها . وضح هذا فى نقدها الساخر، وقلمها اللاذع الذى لم يرحم أية هفوة فكرية أو فنية من هفوات الأدباء.

الرحيل :

رحلت الكاتبة الأمريكية «دوروثى باركر» فى عام 1967 م، عن عُمْر يُناهز 74 عاماً .

obeikandl.com